

(جنود الله)

الحمد لله رب العالمين الكريم المتفضل على عباده بالنعمة والإحسان ، لا إله غيره... نحمده سبحانه وتعالى ونشكره ونتوب إليه ونستغفره... ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : **(وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا)** ونشهد أن محمداً عبد الله ورسوله القائل : **(لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ : عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمَلَ فِيهِ)** اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .
وبعد فيقول الله تعالى :

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ...)
عباد الله : إن من سنن الله عز وجل في عباده أنه إذا استشرى الطغيان بالطغاة وركبوا رؤوسهم في الإستكبار على الله وعلى عباد الله واستمر بهم الأمر على هذه الحال أرسل إليهم من وسائل الهلاك والدمار أحقر ما لا يقيم الناس له وزناً وأتفه ما لا يأبه به هؤلاء الطغاة بل الناس جميعاً يجئ هذا الهلاك في ميقات معلوم في علمه تلك سنة الله في الطغاة الظالمين ، وها أنا أضعكم أمام نماذج وأمثلة من ذلك جسدها التاريخ وأحصاها وخَلَدَها الله في محكم التنزيل للعبرة والعظة : أبرهة ذاك الذي قاده استكباره إلى مكة ليهدم بيت الله الحرام واستاق معه جنداً من الطغاة تتقدمهم الفيلة العظيمة التي جاء بها ، وعندما وصل إلى مكة أهلكه الله ولكن بماذا أهلكه؟! هل أرسل عليه جنداً من باطن الأرض ؟ أو أنزل عليه فيلة من السماء لتغلب على فيله ؟ لا... وإنما أرسل عليه طيوراً من جهة البحر سَدَّتْ الأفق الذي أمامه ، طيوراً صغيرة جداً تحمل في مناقيرها وبين أظفارها حصاً صغيرة تقذف بها أبرهة وجنده ما تصيب الحصا منهم واحداً إلا فعلت فيه أشد مما تفعله الرصاصة اليوم ، وعاد أبرهة مسرعاً فاراً إلى بلده ولم يصل إلى ذلك المكان إلا وقد تناثر جسمه وحاق به الهلاك ، وقد خَلَدَ الشعر الجاهلي هذه الحادثة في شعر أمية بن الصلت وكثير من الشعراء الآخرين ، ولماذا أُنْتُشِدَ بالشعر الجاهلي ولا أُذَكَّرُكُمْ بقوله تعالى: (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصفٍ مأكول) وها هو ذو نواس الذي دعا نصارى نجران باليمن إلى اعتناق اليهودية فلما عارضه الكثير منهم ، وأصرروا على عقيدتهم حفر لهم خنادق وملاها بالنيران الملتهبة وقذف بهؤلاء المتمردين في تلك النار ، ولما جاء ميقات الله المعلوم لهلاكه لم يواجهه الله طغيانه بجيش بل أرسل عليه وباءً إليه وإلى جنده ، ولما رأى الوباء يطوف به وبجنده اتجه إلى البحر متصوراً أن هواء البحر فيه منجاة من هذا الوباء ولكن البحر استقبله ليختنق فيه ، وها هو ذا فرعون الذي استكبر وطغى واستكبر على الرسالة التي حملها إليه سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، ولما طال به الإستكبار بماذا عالج البيان الإلهي بل الحكمة الإلهية استكباره؟ يقول عز وجل: ”فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آياتٍ مفصلات“، لم يحتج استكبار فرعون وجنوده إلى شيء أكثر من هذا ”أرسلنا عليهم الطوفان“ قال جُلُّ المفسرين المراد بالطوفان الوباء الذي طاف به وبجنده ”والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات“ هذا هو الذي أرسله الله سبحانه وتعالى إليه . وتعالوا إلى قصة نمرود التي اجتمعت محكمته وقضت بإحراق سيدنا إبراهيم خليل الرحمن بالنار، وجريمته التي اقتضت ذلك أنه حطم الأوثان والأصنام، قضت محكمة النمرود بإحراق إبراهيم في النار ولكن محكمة الله نطقت قائلة: ”يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم“، ثم إن محكمة الله عز وجل عادت فقضت بأن يتم هلاك النمرود ببعوضة، بعوضة واحدة لم تخطئ أنفه، دخلت أنفه وتغلغلت منه إلى مخه وعشعشت هذه البعوضة في مخه فكان يعاني من جراء ذلك من مرض وبيل وكان أعز الناس عنده أولئك الذين يضربون رأسه بالنعال أو بما شابه ذلك وإن هي إلا أيام حتى

قضى نحبه. تلك هي سنة الله عز وجل في عباده بالأمس وهي ذاتها سنة الله في عباده اليوم وصدق الله القائل: "سنة الله التي خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً"، فيروس إنفلونزا الخنازير، هذا الاسم مهما ابتغى له الباحثون معنى وتحليلاً علمياً مختلفاً فلن تجدوا لهذا الاسم إلا مسمى واحداً في الحقيقة إنه جندٌ من جنود الله عز وجل يرسله في الميقات الذي يشاء على المستكبرين من عباده ليستقيظوا إلى هوياتهم عبيداً مملوكين لله عز وجل، إنه جند من جنود الله عز وجل يخترق به ترسانة القوى الوهمية التي يستكبر بها هؤلاء الذين يحشدون قوى الهلاك والدمار يُذَلُّون بها عباد الله، يستلبون بها حقوق المستضعفين وقد ظنوا أنهم استطاعوا بذلك أن يضعوا الكرة الأرضية تحت أباطهم وظنوا أنهم قادرون على أن يقودوا الناس بأزمة العولمة التي ابتدعوها واخترعوها كما يشاؤون. إنه، هذا الفيروس، جند من جنود الله كذلك الجنود التي أهلك الله بها أبرهة والتي أهلك الله بها ذا نواس والتي أهلك الله سبحانه وتعالى بها أولئك الطغاة الآخرين. هذه الحقيقة ينبغي أن نقولها لنجتث منها العبرة ولنقطف منها الدرس الذي يحب الله عز وجل منا أن نتبينه ونعلمه. قالوا إنها حقيقة طبيعية وراحوا يشرحون ويتكلفون لبيان خلفيات هذا الذي يسمونه الفيروس، وأنا أقول أكان هذا الفيروس المتوضع في الخنازير موجوداً أم لم يكن؟ ما له كان راقداً إلى اليوم وما الذي دفعه إلى اليقظة في هذا الميقات بالذات؟ لقد علمنا أنه قبل عصور طويلة خلت استيقظ هذا الفيروس مرة وفعل ما فعل وأتلف ما أتلف وهلك ما هلك ثم عاد إلى الرقاد، ما الذي جعله يستيقظ حيث نفاجى ولا نعلم لذلك سبباً، وما الذي جعله يرقد رقة الموت حتى لكانه غير موجود؟ هذا السؤال ينبغي أن نصغي إلى الجواب العلمي عنه. إنها حقيقة، جند من جنود الله موجود يتلقى الأمر من مولاه وخالقه ليتحرك في الوقت الذي يشاء ولينفذ الأمر الذي يُوجَّه إليه كما يشاء وليتلف من يلتف وليبقي من يبقي، وعندما يتلقى هذا الجند الأمر من الله بأن يعود إلى مرقدته يعود إلى مرقدته. عباد الله نحن اليوم بأمر الحاجة إلى أن نستيقظ إلى عبوديتنا، أما نحن فإننا نعجز عن الشكر اللائق لمولانا وخالقنا أن جعلنا لا نبصر الكون إلا من خلال مكنونه ولا نرى الأسباب إلا ويد الله سبحانه وتعالى هي المحرك لها، نحن نعجز بإيماننا هذا ونسأله سبحانه أن يبقي نعيم هذا الإيمان في عقولنا ووجداننا في قلوبنا إلى أن نلقاه، إلى أن نقف بين يديه، أما الآخرون فما نحن أتوجه إليهم لعل حديثي يبلغهم أو يبلغ من قد يبلغهم: يا أيها الناس الفرصة باقية لم تُطَوَّ بعد، عودوا، قفوا أمام مرايا ذاتكم ليقف كل واحد منكم أمام مرآة ذاته ليتذكر أنه عبد، أنه ضعيف، "يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد إن يشأ يذهبكم ويأتي بخلق جديد"، يا أيها الناس لا تسكروا بالقوة التي أودعها الله عز وجل لديكم إلى حين، إنها قوة الله، لا تسكنكم القابليات والإمكانات التي متعكم الله بها إلى حين، إنكم تنفعلون بها ولكنكم لا تفعلونها، إنها غُرسَتْ في كياناتكم كما لا تعلمون ولسوف تودعكم إلى خير رجعة كما لا تعلمون، "إن كل من في السموات والأرض إلا أت الرحمن عبداً، لقد أحصاهم وعدهم عدداً وكلهم آتية يوم القيامة فرداً". جنود الله سبحانه وتعالى كثيرة، الهواء الذي ننتعش به ونمارس عن طريقه الشهيقة والزفير جند من جنود الله إن شاء جعله سبب هلاكنا، الماء الذي جعله الله أساس كل حياة "وجعلنا من الماء كل شيء حي" ما أسرع ما يجعله الله سبباً للهلاك، هذه الدويبة الصغيرة، البعوضة التي قال الله عز وجل عنها: "إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها"، إذا شاء الله عز وجل أهلك بها أمة بقضها وقضيضها. ما أضعف الإنسان وما أشد ضعفه عندما ينسى ضعفه ويسكر بقوة لا علاقة له بها، قوة أمتعته الله بها إلى حين. اللهم لا تحجبنا عن هوياتنا عبيداً لك، اللهم أكرمنا بذل العبودية لك، اللهم إذا رحلنا إليك اجعل من يقين عبوديتنا لك خير شافع يشفع لنا ويصفح عن تقصيرنا في جنبك، أقول قولِي هذا وأستغفر الله العظيم.